

التفكير في آيات الله الكونية ترسخ الإيمان بالغيب

.....
الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. مر بنا أدلة كثيرة تحت المسلم على أن يتفكر في آيات الله، ويتعقل معاني ما أمر الله به، وأن التفكير والتذكر يفتح البصيرة وينور القلب ويشت العقيدة، ويكون أكبر دليل على أحقيه هذا الدين وما اشتغل عليه من الحكم والآحكام، ففي مثل قول الله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَحَلَ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلَقَاءَ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} بدأ بتذكيرهم أن يتفكروا في أنفسهم، وذلك لأن نفس الإنسان أقرب شيء إليه، فلو تفكروا فيها لرأوا فيها عجب العجائب؛ ولأجل ذلك يقول الله تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ} أي: وفي أنفسكم آيات للملائكة. أي دلالات تدل من تفكير فيها على اليقين على علم اليقين بحيث يكون الغائب عنده كالمشاهدة. إذا تفكر الإنسان حق التفكير في آيات الله تعالى، فلا بد أن يعرف ويؤمن صحة ما أخبر ربه به من الغيب، فيؤمن بالغيب إيماناً يقينياً وذلك لأن الله تعالى بدأ صفات المؤمنين بالإيمان بالغيب في قول الله تعالى: {الَّمَّا ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَبِّ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} بمعنى أنهم يتفكرون في الآيات الكونية التي بين أيديهم، فيحملهم ذلك على أن يؤمنوا إيماناً صحيحاً بما أخبر الله به وإن لم يروه، فيكون الغائب عندهم كالحاضر، ويكون جزماً وبقينا ليس فيه شك وليس فيه تردد، هذا بلا شك هو وسيلة التفكير في آيات الله تعالى. فمر بنا مثلاً الآخر الذي يقول: إن الإنسان مثلاً إذا تفكر في تلبيس مفاصله علم أنها لم تخلق إلا للعبادة، هذا أقل شيء يتفكر فيه أن يتفكر كيف لين الله تعالى مفاصله أي: جعلها تتقبض وتتبسط، فجعل أصابعه تتقبض حتى يقبض ما ي يريد، وتتبسط يعني يستطيع أن يمددها، وكذلك أيضاً جعل يديه بها مفاصل، مفصل في المرفق ومفصل في المنكب، وكذلك أيضاً جعل ظهره فيه هذه المفاصل، وكذلك بقية أعضائه وأضلاعه ونحوها فيها هذه المفاصل. لا شك أن الله جعلها لأجل أن تلبيس عند العبادة، عند رکوعه وعند سجوده وعند مسيره في طاعة ربه وما أشبه ذلك؛ ولذلك يجب عليه أن يشكر ربه على ذلك ويعترف بفضله عليه. ورد في حديث مشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بآن في الإنسان ثلاثة وستين مفاصلاً، وأن عليه أن يشكر الله تعالى في كل يوم بعدها، فيقول صلى الله عليه وسلم: {يصبح على كل سلامي من الناس صدقة ...} سلامي يعني: مفصل. أي في كل مفصل يصبح عليك فيه صدقة. في كل يوم تطلع فيه الشمس، ولكنه سبحانه يرضي من عباده بالقليل؛ فلذلك يقول: {تعديل بين اثنين صدقة ...} أي: جعل هذا من الصدقات التي تخفف عنك فليس الصدقة فقط هي أن تتصدق بمال، ثم تعديل بين اثنين صدقة، وتعين أخاك على متاعه فترفعه على ذاته فترفع عليها متاعه صدقة وأمر بمعرفة صدقة، ونهي عن منكر صدقة وفي بعض أحدكم صدقة، فجعل هذا كله صدقة. وكذلك أيضاً أخبر بقوله: {إن لكم بكل تسيحة صدقة وبكل تكبيره صدقة وبكل تهليله صدقة وبكل خطوة إلى المساجد صدقة} فهذه من سبعة الله تعالى وكبره بعدد المفاصل التي في أعضاء جسده كل يوم فقد شكر نعمة الله على هذا الخلق الذي خلقه عليه وإنما سبحانه على شكر هذه النعمة، ولا شك أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم كما أخبر بذلك في قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكِبَكَ} وفي قوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَفْوِيمٍ} وأخبر بأنه كامل له ما يحتاج إليه في قوله تعالى: {أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَسَقَيْنِ وَهَدِيَّتَاهُ التَّجَدِيدَنِ} . فيحدث الله تعالى عيده على أن ينظر في نفسه، وأن يعرف نعمة الله عليه، وأن يتذكر أن الذي خلقه على هذا الخلق لم يخلقه عيده، ولم يتركه هملاً؛ ولذلك يقول الله تعالى: {أَفَخَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَيْنَانِ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} يخاطب الكفار الذين يوحي لهم وهي في النار بقوله تعالى: {كَمْ لَيْسْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَيْسْنَا بِيُؤْمِنُ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلُ الْعَادِينَ قَالَ إِنْ لَيْسُمْ إِلَّا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَفَخَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَيْنَانِ} أطئتون أن إيجادكم في هذه الدنيا عيده.